

خوسيويدري في كتب النجاة

دراسة تحقيق وتقويم

رسالة تقدم بها

مازن عبد الرسول سلمان الزيدي

الى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة

في اللغة العربية، وآدابها .

بإشراف

أ.م.د. صالح هادي القرشي

نيسان ٢٠٠٦م

ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله على سابع نعمائه ، ووافر آلائه ، وفضله ، وإحسانه . وأزكى الصلاة وأتمّ التسليم على خاتم النبيين إمامنا محمدٍ نبيّ الرحمة والهدى ، وعلى آل بيته الطيبين الأطهار ، ورضي الله عن صحابته الغرّ الأبرار ، وتابعيه الأخيار .
ويعدُّ :

فقد ترك لنا سيبويه (بحراً) كثيرةً دُررُهُ ، وفريدةً شموليته ، وإحكامه ، وجدته . لم يستغن عنه طالب العربية خلال العصور . ولم يتجاوزهُ متلهفٌ لمعرفة أصولها ، واستشرف محاسنها ، والوقوف على جمالياتها وروعيتها . ولا غرابة : فهو مؤسس أحكامها ، ومنهلها الصافي ، ووردُها العذب الذي يرتشف منه المتعلمون ، ويلجأ إليه العالمون سراجاً لأفكارهم ومناراً لأقوالهم ، ومن ههنا كان سيبويه حاضراً بقوة في الفكر النحوي بعده ، وتعددت النقولات عنه ، وكثُر الاستشهاد بأقواله ، وتنوعت الإشارة إليه ، فكانت كلما جالت مخيلة أحدهم تستتطق حكماً ، أو تنقده ، أو ترجّحه . ترى في ألقها مُحلقاً : حُجّةً ، وموئلاً ، وسنداً ، ومنهلاً .

وهذا الأمر جعلنا نفكر جدياً في محاولة بحث طبيعة هذا التعامل مع نحو سيبويه ، نقلاً ، وفهماً في مؤلفات النحاة اللاحقين والتي شملت (ثمانين) مؤلفاً نحوياً ابتداءً بـ(المقتضب) للمبرد(ت٢٨٥هـ) ، وانتهاءً بـ(حاشية الخصري(ت١٢٨٧هـ) على شرح ابن عقيل) . وهي المصادر التي وقعت بين يدي . فجاءت هذه الدراسة لتتناول تلك الأقوال ، والآراء الكثيرة التي عُزيت الى سيبويه في هذه المؤلفات محاولةً تحقيق ما نُسب إليه منها خطأً ، وما فهم منها غلطاً وتقويمهما ، وما ترتب على ذلك من تبدل للمفاهيم بين تلك المرحلتين . ولأبدٍ ههنا من توضيح المقصود بالتحقيق والتقويم. أما التحقيق: فهو تفعيل من:(حقّ).وورد في اللغة بمعنى:(الإثبات) ذكرابن منظور:حقّ الأمر،وأحقّه،أي:أثبتّه وصار عنده حقاً لا يُشكُّ فيه. وأحقّته: إذا غلبته على الحقّ

وأثبتته عليه ، وتحققَ عنده الخبرُ ، أي : صحَّ^(١) وهو من ههنا : " رَجُعُ الشيء الى حقيقته بحيث لا يشوبه شبهة ، وهو المبالغة في إثبات حقيقة الشيء بالوقوف عليه" (٢) .

وقد عُرِفَ التحقيق مصطلحاً في مجال (تحقيق النصوص التراثية) بتقديم صورة لها أقرب ما تكون الى الأصل على وفق منهج محدد ، وعُرِفَ أيضاً على وفق التصور الذي نتبناه هنا في مجال الدراسات النحوية ، واللغوية ، والقرآنية عموماً فلم نعدم له استعمالاً في مغان العربية ومصادرها ك(المحققون) و(أهل النظر والتحقيق) . وفي العصر الحاضر تصدّر هذا المفهوم بعض المؤلفات والأبحاث منها بحث الدكتور نهاد الموسى (تحقيق في الحال هل تقع نفيًا) ، وكتاب الدكتور فاضل السامرائي (تحقيقات نحوية) .

فالمصطلح ليس بدعاً في مجال دراسة العربية عموماً وفي النحو العربي على وجه الخصوص ، ويراد منه بحسب فهمي : محاولة التنبُّت من القضية النحوية قيد الدرس بإرجاعها الى حقيقتها التي هي عليها إن كانت نصّاً نحويّاً ، أو إثبات دليلها إن كانت فهماً للنصّ ، وهي بذلك : تتبّع استرجاعيّ بدءاً بنصوص متأخرة عوداً على نصوص متقدمة .

أما التقويم : فقد جاء في اللغة بمعنى (التعديل) ف:قَوْمته تقويماً فتقوم بمعنى : عدلته فتعدل واستقام ، وقوم ذرأه ، أي : أزال عوجَه ، وتقوم الرمحُ ، أي : اعتدل^(٣) . وهو بالمعنى الذي اعتمدنا تطبيقه في دراستنا هذه وجهٌ متميزٌ من أوجه التحقيق ، ومُتمِّمٌ له ، من حيث إنّ المسألة النحوية قد تُفهم خطأً في الدرس النحوي ، بأن تُعرض صورةً واحدةً من صورها في حين أنّها عند سيبويه على غير ما فهمت منه ، أو فيها أوجهٌ أخرى مع الوجه الذي ذُكِرَ فيغدو تحقيق المسألة بعرضها على كتاب

(١) لسان العرب (حقق) : ٤٩/١٠ ، ٥٢ .

(٢) الكليات : ٢٩٦ .

(٣) لسان العرب : (قوم) : ٤٩٨/١٢-٤٩٩ ، ٥٠٢ . أودُّ الإشارة ههنا الى أنّ ثمة بحثاً قد تناول بالدراسة هذا المصطلح عنوانه (بين التقويم ، والتقويم بحث في التصحيح اللغوي) للدكتور عدنان محمد سلمان ، منشور في ضمن كتاب دراسات في اللغة والنحو ، للباحث الفاضل نفسه : ص ١٨٠ .

سيبويه فهماً ، واستنباطاً ، واستقراءً تقويماً للرأي المتأخر المفهوم خطأً من الكتاب ، أو ناقصاً ، أو غير مكتمل عما أراده في حقيقة هذه المسألة أو تلك . وهو مصطلح متداول في الدرس المعاصر أيضاً ومنه على سبيل المثال كتاب (تقويم الفكر النحوي) للدكتور علي أبي المكارم .

وتأتي أهمية هذا الموضوع من حيث :

١- إنّه دراسة للعالم ، وأرائه النحوية في مؤلفات النحاة ، تحقيقاً ، وتقويماً وصولاً الى معرفة الكيفية التي فهمَ بها سيبويه أولاً ، ومن ثمّ نصّه ثانياً في التراث النحويّ اللاحق .

٢- إنّ بعضاً من هذه الآراء المعزوة خطأً إلى سيبويه ، قد شاعت في الدرس النحوي ، ومازالت كذلك ، ويُدرّس بعضها للطلبة .

٣- إنّها أول أطروحة جامعية تتناول بالدراسة هذا الموضوع في الدرس النحوي بحسب ما أُطلعتُ عليه من مصادر ؛ إذ لم تُؤلّف فيه على الرغم من مبلغ أهميته إلا بحوثٌ مستقلةٌ ، أو مباحثٌ في ضمن مؤلفات ومن ذلك : مبحث للدكتور حسام النعيمي في كتابه (النواسخ في كتاب سيبويه) بعنوان (ما نُسب الى سيبويه خطأً) ، ومبحثٌ للدكتور طه محسن بعنوان (سيبويه في شرح ابن عقيل) .

لهذا كلّه سعيت الى تتبّع مواضع النقل عن سيبويه في الدرس النحوي اللاحق ، واستقصائها في عملٍ الله وحدهُ يعلمُ ما بذلتُ فيه من جهدٍ مُضنٍّ ، وما تحمّلتُهُ من مشقّةٍ وعناءٍ في جمعِ هذه الآراء من بطون المؤلفات النحويّة ، وموازنتها بآراء سيبويه في كتابه ، وهي الصعوبة الأخرى التي واجهتني وذلك لتفرّق آراء سيبويه في كتابه وتناثرها في أغلب الأحيان . وقد كفاني الأستاذ المرحوم محمد عبد الخالق عضيمة وصف مشقّة هذا العمل بقوله : " الرجوع الى سيبويه في كلّ مسألة من الصعوبة بمكان ولا شيء أشقّ منه ، وليس أدلّ على ذلك من أنّه قد خفي ما في

سيبويه على كثير من الأئمة الأعلام ، فكيف بغيرهم ممن لم يبلغ مَبْلغهم ، ولم يدرك شأوهم؟ " (٤).

واقترضت منهجية البحث تقسيم الأطروحة الى خمسة فصول :
- كان الأول منها فصلاً تمهيدياً عنوانه (سيبويه والدرس النحوي اللاحق - دراسة وصفية لمنهج التعامل-) تضمن أربعة مباحث وعلى النحو الآتي :
المبحث الأول : (ملاحح النقل عن سيبويه) وتضمن فقرتين : أولاهما : دواعي النقل عن سيبويه ، أما الأخرى : فتناولت : طرائق النقل عنه .
المبحث الثاني : (طبيعة النقل والفهم الخطأين عن سيبويه) وتضمن أيضاً فقرتين ، أولاهما : أنماط النقل الخطأ ، أما الأخرى فتناولت : أسباب هذا النقل الخطأ .
المبحث الثالث : (نحو سيبويه بين الثبات والتجديد) وعرضت فيه أهم ملامح التغيير الذي طرأ على مسيرة الدرس النحوي بعد سيبويه مع الإشارة الى ما استقرّ على حاله من هذا النحو .

المبحث الرابع : (كيف فهم سيبويه في التراث النحوي اللاحق؟) وتناولت فيه حقيقة فهم النحاة لسيبويه ، وكتابته ، وذلك بعرض بعض النصوص التاريخية ، وآراء بعض الباحثين المعاصرين الذين فهموا منها أن ثمة فصلاً قد تمّ في الدرس النحوي بين الرجل ، وكتابه ، ومحاولة مناقشتها والردّ عليها . وصولاً الى إعطاء تصوّر عن كيفية فهم النحاة لآراء سيبويه ، وأقواله في الدرس النحوي عارضاً بعض ملامح القصور في هذا الفهم .

أما الفصول الأربعة الباقية فقد تضمنت (الدراسة التطبيقية) والتي تناولت فيها تحقيق المسائل التي نُقِلت عن سيبويه، وفُهِمَتْ خطأً وتقويمهما ، وقد تناولت هذه المسائل كلاً في موضوعه وعلى النحو الآتي :

- الفصل الثاني : (المقدّمات النحويّة) وقسمته على ثلاثة مباحث تناولت فيها :
الكلام وما يتألف منه ، والإعراب والبناء ، والنكرة والمعرفة .

- الفصل الثالث : (المركّب الأسمي ونواسخه) وتضمّن مبحثين : المبتدأ والخبر ، ونواسخ الابتداء .
- الفصل الرابع : (المركّب الفعلي) وتضمّن أيضاً مبحثين : الفعل (نواصبه ، وجوازمه) ، والفاعل ونائبه .
- الفصل الخامس : (متعلقات الجملة) وتضمّن أربعة مباحث تناولت فيها : المنصوبات ، والمجرورات ، والتوابع ، والأساليب .

وسبقت كلّ ذلك مقدّمة ضمّنتها الحديث عن أهمية الموضوع ، ودواعي اختياره ، وأقسامه ومنهجه ، وتبعها خاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها ، ثم أتبعْتُ ذلك بنبّاتٍ للمصادر والمراجع التي استعنتُ بها في هذه الإطروحة .

أما المنهج الذي اعتمدته في هذه الدراسة فقد تأسّس على مبدئين : أولهما : اعتماد القراءة التحليلية الموضوعية لنصوص الكتاب ، وقراءتها كما هي ، لا تفسيرها على وفق نظريات وأحكام بعيدة . وهذا لا يلغي الاستعانة على فهم هذه النصوص بعبارات بعض النحاة ، ولأسيما القريبين منهم من عصر سيبويه ، وكذلك شرح الكتاب كالسيرافي .

أما الآخر : فهو التزام منهج خاص في النظر الى آراء سيبويه التي طالما غفل عنه الباحثون في كتابه ويمكن أن يصطّح عليه بـ(النظرة الكلية) ، وأعني بها : محاولة تتبّع آراء سيبويه المتفرقة في المسألة الواحدة وجمعها ، ولمّ شتاتها، لإعطاء صورة أقرب ما تكون الى حقيقة رأيه تُستلخص من مجمل هذه الآراء لا من رأي واحد منها؛ لأننا نحسب أنّ آراء سيبويه في المسألة الواحدة ، والمبثوثة في كتابه لو جمعت فإنّ بعضها يُفسر بعضاً في الغالب.

ومن دواعي الأمانة ، والإخلاص ، والاعتراف بالحسنى أنّ أوّجه الشاء ، والشكر الى كل من كانت لهم يدٌ بيضاء في سبيل إتمام هذه الإطروحة . وأخصّ بالذكر منهم أستاذي المشرف د. صالح هادي القريشي على ما بذله من جهد في قراءة فصول

هذه الإطروحة على ما بها من طول ، وما يداخل موضوعاتها من مشقة وعناء ،
فجزاه الله عني خير ما يجزي عباده الصالحين .

وأساتذتي في قسم اللغة العربية في كليتي الآداب ، والتربية داعياً الله لهم جميعاً
بالخير ، والمغفرة . والى كل الأهل ، والأحبة على مساندتهم إياي طوال مدة انجازي
هذه الدراسة .

وأخيراً فهذا جهدي الذي بذلته بفضل الله ، وعونه . أتمنى أن أكون قد أسهمت به
في خدمة تراثنا الأغر ، وعريبتنا الخالدة من خلال خدمة أول كتاب نحوي فيه ،
والذي كان له الفضل الذي لا يُنكر ، والأثر الذي ما أنفك يذكر . فإن كنت قد
وقفتُ فبمنّ الله وحده ، منه نستمدُّ التوفيق والسداد ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ،
وحسبي أنني بذلت معه غاية الجهد ، والصبر ، والأناة ، والإخلاص . أسأله تعالى
العصمة من الزلل ، وأدعوه أن يجزيني جزاء المجتهدين ، وأن يمنّحني من نعمة
الإخلاص لوجهه الكريم ما يقيني من الخطل في القول ، والزلل في اللسان .

ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير

الباحث